الحرب من البداية الى النهاية على ساحة القتال بين جيوش تقليدية . وكانت الحالة المستثناة الوحيدة هي الحرب التي شنتها قوات الثورة الفلسطينية .

ويبدو كأن حرب تشرين (اكتوبر) كانت تمثل وحدة الانظمة بينما كانت حرب عام ١٩٦٧ تمثل وحدة الدموع ، وحرب عام ١٩٥٦ تمثل وحدة المطامح ، وحرب عام ١٩٤٨ تمثل وحدة الايمان . وقد أظهرت حرب عـــام ١٩٤٨ مشاركة والتزامـــا جماهيريين بالمحافظة على الهوية العربية لفلسطين . وجسم ذلك الالتزام « جيش الانقاذ » الذي ضم خليطا من المتطوعين من مصر والمغرب وسوريا ولبنان والعراق والبلدان العربية الاخرى ، وأرغم الانظمة على عدم التغاضي عن واجبها نحو فلسطين وشعبها . على ان دخول سبعة جيوش عربية الى فلسطين في الخامس عشر من أيار (مايو) عام ١٩٤٨ والهزيمة التي منيت بها بعد ذلك أكدت عدم صلاح وكفـــاءة الانظمة العربية لتحقيق رغبات شعوبها . فبالنظر الى التنافس الشديد بين الانظمة السياسية ، لم يسمح للجيوش بالعمل في انسجام مع بعضها بعضا ، وكانت النتيجة تفتت شرعيـــة الانظمة الذي تجلى في الجيشانات والاغتيالات السياسية التي اجتاحت الاقطار المحيطة بفلسطين .

في الحرب الثانية ، كان الرئيس عبدالناصر قد قام بمحاولات قوية لاعادة اشراك الجماهير في الشؤون القومية وناشدها مباشرة ، متخطيا حكوماتها . وشهدت الحرب تماثلا عظيما في المصالح بين القائد والقاعدة ، في غياب الانظمة الاخرى . كمـــا ان القيادة المتجاوبة مع الجماهير التي تميز بها الرئيس عبدالناصر والمشاركة الجماعية بين الجمهور والزعيم ارغمتا هذه الانظمة على تقديم الولاء الكلامي للتضامن .

وبحلول عام ١٩٦٧ كانت المشاعر الجماهيرية قد تفجرت في التاسع والعاشر من حزيران (يونيو) عندما تخلى الرئيس عبدالناصر عن منصبه وأقنعته باستئناف قيادته . وبما ان الانظمة كانت قد تخلت عن مسؤوليتها ، فلم يكن في مقدور أحد أن يوجه خزان الطاقة هذا في قناة ويضعه في خدمة الامة . فتبددت الطاقة . وحدث تباعد خطير بين الجماهير والانظمة . وبحلول عام ١٩٧٣ لم تكن الجماهير ولا الزعماء قد بدأوا عملية التفـــاعل .

الخاتمة

« الذي حدث هو ليس حتى الآن وحدة أو اتحادا ، ولكنه أكثـــر من مجرد تضامن استلزمته الاحداث التي حصلت أو تحصل في المنطقة »(٢٤) . هذا القول يصف وصفا يلاحظه معظم دارسي السياسة العربية في دراساتهم . وفي حـــين لا يعرفون كيف يشرحون شرحا مرضيا لماذا تسيطر الوحدة مثل هذه السيطرة القوية على مخيلة العرب وأعمالهم ، فانهم يدركون أعمالها ادراكا تاما . وتؤيد دراساتهم استنتاجنا . فمجرى الاحداث الحالي ليس نتاج التطورات الاخيرة فحسب ، ولكنه ناجم أيضا عن مشاعر واسعة النطاق بين العرب بأن لهم هوية مشتركة ورغبة في أن يقيموا بين أنفسهم وحدة سياسية تلغي الحدود القائمة .

لقد مرت حركة الوحدة العربية في تاريخها الحديث عبر أربع مراحل . وكانت كل مرحلة من هذه المراحل تبرز سبيلا الى تحقيق هذه الوحدة . ودعت المرحلة الاولى الى توفير منصة للتعاون ولتنسيق السياسات بين الانظمة العربية . وصنفت المرحلة الثانية الانظمة معتبرة ان هناك دولا ديناميكية واخرى متحجرة وقصرت التحركات الوحدوية على الانظمة الديناميكية . وطالبت المرحلة الثالثة بالتحويل الجذري للحياة والمؤسسات